المجلة العالمية للعلوم الشرعية والقانونية
الإصدار الخامس والأربعون
المجلد (٦) العدد (١)
٢٠٢٢ (٥٦-٧٥)

المجلة العالمية
للعلوم الشرعية والقانونية

Middle East Institution of scientific Publishing

تنقيب علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري «سورة الأحقاف» أنموذجًا

د. صالح بن سعود سليمان السعود

أستاذ مشارك بجامعة حائل

نُشِرَ إلكترونياً في: **٢٥ يناير ٢٠٢٣م**

الملخص

يهدف البحث إلى بيان التفسير وعلوم القرآن في سورة الأحقاف في صحيح البخاري. **أهم النتائج: ١**- البخاري صاحب اختيار في التفسير. ٢-أن البخاري استفاد كغيره من المفسرين في باب النقل من مرويات المفسرين ومن كتب اللغويين. **التوصيات: ١**-أن يعمد الدارسون لعلوم القرآن وأصول التفسير إلى الجانب التطبيقي من خلال الآثار النبوية وغيرها من تفسيرات الصحابة والتابعين. ٢-أن تخص كتب التفسير من كتب الصحاح والسنن بالدراسة، ففيها فوائد جليلة لا تظهر إلا بالاستقراء والتحليل لهذه الكتب.

الكلمات المفتاحية: بيان؛ تفسير، علوم قرآن، الأحقاف، البخاري.

Abstract

The research aims to explain the interpretation and sciences of the Qur'an in Surat Al-Ahqaf in Sahih Al-Bukhari, the most important results: 1- Al-Bukhari has a choice in interpretation. 2- al-Bukhari, like other exegetes in the chapter on transmission, benefited from the narrations of the exegetes and from the books of linguists. Recommendations: 1- That those who study the sciences of the Qur'an and the principles of interpretation go to the practical side through the prophetic traces and other interpretations of the Companions and their followers. 2- The books of interpretation of the books of Sahih and Sunan should be devoted to study, as they contain great benefits that can only be revealed by induction and analysis of these books.

Keywords: statement, Explanation, Quran sciences, occiput, Bukhari.

* المقدمة

فقد اعتنى العلماء عناية بالغة بالكتاب والسنة جمعاً، وشرحاً، ومن العلماء الذين كانت لهم عناية بالغة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم البخاري، فقد ألف أصح كتاب بعد كتاب الله –تعالى– وروى فيه أحاديث خاصة بتفسير القرآن الكريم، حيث ضمنه في الكتاب الخامس والستين كتاب: التفسير، الذي حوى ما يقارب مائة وأربعة عشر بابا بعدد سور القرآن، ونظراً

للأهمية البالغة للحديث النبوي في تفسير القرآن الكريم، وخاصة الأحاديث التي رواها الإمام البخاري، أحببت أن ألقي الضوء على البخاري المفسر، جاء البحث تحت عنوان: **تنقيب علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري؛ «سورة الأحقاف» أنموذجًا"**[1].

*** أهمية البحث**

تكمن أهمية البحث في: -

١- مكانة البخاري، ومكانة كتابه الصحيح.

٢- قيمة السنة النبوية المشرفة ودورها العظيم في تفسير القرآن.

٣-السنة هي أصل من أصول تفسير القرآن.

*** أهداف البحث**

١- بيان مكانة صحيح البخاري، ونبذة عن كتاب التفسير.

٢- بيان منهج البخاري العام في سورة الأحقاف.

٣- بيان التفسير بأقوال الصحابة في سورة الأحقاف من كتاب التفسير في صحيح البخاري.

٤- بيان علوم القرآن التي أوردها البخاري في سورة الأحقاف.

*** مشكلة البحث**

البخاري علم من أعلام المحدثين، وقد خصص في صحيحه كتاباً لتفسير القرآن، ضمنه أحاديث وآثار تفسر سورة الأحقاف، وقد جاء هذا البحث لحل هذه المشكلة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:-

١- ما منهج البخاري العام في سورة الأحقاف؟

٢- هل فسر البخاري في سورة الأحقاف بأقوال الصحابة؟

٣- ما علوم القرآن التي أوردها البخاري في سورة الأحقاف؟

*** أهداف البحث**

١- بيان منهج البخاري العام في تفسير سورة الأحقاف.

٢- اكشف عن تفسير البخاري لسورة الأحقاف بأقوال الصحابة.

٣- إبراز علوم القرآن التي أوردها البخاري في تفسير سورة الأحقاف.

*** حدود البحث**

*** الحدود الموضوعية**

كتاب التفسير من صحيح البخاري، تفسير سورة الأحقاف.

الدراسة الأولى: اختيارات الإمام البخاري في التفسير التي لم يعزها إلى أحد في صحيحه – عرض وتحليل –، عايد بن عبد الله بن عيد الحربي، رسالة ماجستير، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1409هـ.

تهدف الدراسة إلى بيان سيرة البخاري ونبذة موجزة عن صحيحه وبيان منهجه في التفسير وبيان عرض اختياراته في التفسير وتحليلها وذلك من خلال ذكر ما ورد في صحيح البخاري من الآيات التي تتعلق بتلك الاختيارات مرتبة حسب مواضعها في السور.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

١- وجود مادة تفسيرية كبيرة في صحيح البخاري، منها ما عزاه إلى أحد أئمة التفسير من الصحابة والتابعين وغيرهم.

---

[1]- سميته «تنقيباً» أخذًا من معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين" والتثوير نوع من التنقيب عن خفايا العلم، وهو هنا اجتهاد في استنطاق النصوص بما فيها من الفوائد في علوم القرآن.

٢- أن البخاري إلى جانب كونه محدثاً وفقهياً فهو أيضاً مفسر له شخصيته المستقلة في استنباطاته الدقيقة واختياراته القيمة.

٣- براعة البخاري وتمكنه في علمي الرواية والدراية أعطى تفسيره ميزة خاصة بوجه عام، وهي صحة المعنى وجودة الاختيار.

٤- اعتماد البخاري على الأحاديث في تفسير كثير من الآيات.

الدراسة الثانية: مروريات الإمام البخاري في التفسير في غير صحيحه جمعا ودراسة، أحمد هادي شيخ علي، رسالة ماجستير، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1415هـ.

تهدف الدراسة إلى بيان حياة البخاري العامة اسمه وكنيته وعقيدته ومذهبه العلمي وزهده وحياته العلمية وشيوخه وتلاميذه ونماذج من ثناء العلماء عليه ومؤلفاته ودراسة مروياته وبيان منهجه في إيراد تفسير الآيات القرآنية.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

١- أن كبر حجم هذه المروريات التفسيرية التي وصل عددها إلى سبع وسبعين وأربعمائة رواية تفسيرية ليؤكد صحة ما نقله أهل العلم من أن البخاري أفرد تأليفاً في التفسير.

٢- أن منهج البخاري منهج أصيل في تفسير القرآن حيث اعتمد على التفسير بالمأثور وعول عليه.

٣- اشتملت هذه المروريات على أغلب فنون علوم القرآن الكريم فبلغ عدد الروايات في أسباب النزول من هذه المروريات أربعاً وخمسين رواية.

٤- اشتملت هذه المروريات على التفاسير القديمة ابتداءً من تفاسير الصحابة والتابعين وأتباعهم.

الدراسة الثالثة: منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه الصحيح، سيد أحمد الإمام خطري، رسالة ماجستير، السعودية: جامعة أم القرى، 1417هـ.

تهدف الدراسة إلى بيان حياة البخاري وعلاقته بالتفسير ومراحل التفسير والتفسير في زمنه، وبيان كيفية استعمال البخاري لعلوم القرآن تفسيراً ومنهجه وبيان الأسس العامة والخاصة لمنهج البخاري في التفسير.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

١- أن البخاري جعل التفسير هدفاً وغاية، حيث أصل ستة وخمسين كتاباً تأصيلاً تفسيرياً.

٢- أن البخاري إمام في التفسير كما هو إمام في الحديث والفقه.

٣- أن المفسرين الكبار كانوا عالة على البخاري في التفسير خصوصاً عند الترجيح كابن العربي والقرطبي.

٤- أن البخاري دافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ضد أصول الفرق الإسلامية.

الدراسة الرابعة: تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري؛ «سورة الفاتحة» أنموذجًا، د. مساعد الطيار، بحث محكم، مجلة الدراسات الإسلامية، مجلد26، ص: 17- 44، الرياض، 2014م.

تهدف الدراسة إلى بيان مفهوم التفسير وما يسنده من تفسير وما يعلقه واستفادته من العلماء السابقين من ناحية البخاري ومصادره في تفسير الفاتحة وبيان النظائر القرآنية وتفسير التابعين والتفسير النبوي واللغوي وأنواع علوم القرآن التي أوردها في سورة الفاتحة.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:-

١- أن الحاجة ماسة إلى استنطاق الآثار لتعزيز مسائل علوم القرآن وأصول التفسير.

٢- أن البخاري صاحب اختيار في التفسير.

٣- أن البخاري استفاد كغيره من المفسرين في باب النقل من مرويات المفسرين ومن كتب اللغويين.

*** منهج البحث**

المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي.

*** منهجية البحث**

جمع ما ورد في سورة الأحقاف من تفسير في صحيح البخاري في كتاب التفسير.

*** تمهيد: الإمام البخاري، ومكانة صحيحه، ونبذة عن كتاب التفسير**

أولاً: حياة الإمام البخاري الشخصية

*** اسمه ونسبه ومولده ووفاته**

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي البخاري، ولد في شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة [1]. وتوفي- رحمه الله- سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنتين وستين سنة [2].

ثانياً: حياة البخاري العلمية

*** نشأته العلمية**

نشأ البخاري يتيماً، وكان أبوه من العلماء الورعين، حفظ تصانيف ابن المبارك، وحبب إليه العلم منذ الصغر، مع ذكاؤه الخارق [3].

رحل في طلب العلم إلى محدثي الأمصار، بخراسان، ومدن العراق، والحجاز، والشام، ومصر.

رغم صغر سنه إلا أنه حفظ الحديث مبكرا، ولما بلغ السادسة عشر، حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

خرج إلى مكة للحج، وجلس فيها لطلب الحديث، فلما بلغ الثامنة عشر جعل يصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم [4].

يقول عن نفسه قبل موته بشهر: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص [5].

*** شيوخه**

تتلمذ البخاري على يد علماء عصره، وهم كثر، فبلغ عدد شيوخه ألف وثمانين شيخاً [6]. وقال عن نفسه: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده [7].

*** ومن هؤلاء الأعلام**

مكي بن إبراهيم بن فرقد، التميمي البرجمي (214ه). والضحاك بن مخلد بن الضحاك، البصري الشيباني (212ه)، وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار باذام العبسي (213ه)، ومحمد بن يوسف بن واقد بن عثمان

(1) - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي 322/2.
(2) - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي 322/2، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي 438/24.
(3) - تاريخ الإسلام، الذهبي 166/19.
(4) - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي 322/2.
(5) – سير أعلام النبلاء، الذهبي 395/12.
(6) - المرجع السابق 395/12.
(7) – تهذيب الكمال، المزي 445/24.

الضبي (212ه) [1]، وإسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني (226ه) [2]. وغيرهم.

*** تلاميذه**

سمع منه خلق كثير من العلماء، والحفاظ، والفقهاء، وانتشر علمه وفتاويه في الآفاق، وانتفع الناس في سائر البلاد بتصانيفه، وتواليفه [3].

ومن أشهر تلاميذه: محمد بن عيسى الترمذي(279ه)، ومسلم بن الحجاج بن مسلم (261ه) [4]. وغيرهما.

*** آثاره العلمية**

لقد خلف بعده من الكتب الكثير، ويكفيه كتابه موطن الدارسة" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، والمعروف بصحيح البخاري، كما خلف البخاري غير الصحيح.

*** ثناء العلماء عليه**

لقد بلغ البخاري منزلة عالية، ومكانة سامية، فلقد ذاع صيته وملأ الآفاق ذكره؛ وشهرته تغني عن ذكر أقوال من أثنى عليه، ولكن طبيعة البحث تقتضي ذلك. وصحيحه أصح الكتب وأفضلها بعد كتاب الله تعالى.

أثنى عليه الأئمة الأعلام كأحمد بن أبي بكر المديني(242ه) حيث قال: محمد بن إسماعيل أفقه من ابن حنبل(290ه). فقال له رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكًا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث [5].

وقال عنه الدارمي(255ه)، محمد بن إسماعيل أعلمنا وأفقهنا، وأغوصنا، وأكثرنا طلبًا. وقال: رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق، فما رأيت فيهم أجمع من أبي عبد الله البخاري [6].

وقال عنه مسلم بن الحجاج(261ه)، وجاء إلى البخاري:" دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله".

وقال عنه المروزي(268ه): ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله، طلب العلم وجالس الناس ورحل في الحديث ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه [7].

وقال أبو عيسى الترمذي(279ه) صاحب السنن قال: لم أر بالعراق، ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ، ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل [8].

وقال ابن خزيمة(311ه) حيث قال:" ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري" [9].

([1]) - تهذيب الكمال، المزي 52/27- 60، 481/28، 483/28- 488، سير أعلام النبلاء، الذهبي 553/9- 556.

([2]) – تذكرة الحفاظ، الذهبي 300/1.

([3]) - تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ابن العطار، ص:63.

([4]) - تهذيب الكمال، المزي 499/27، سير أعلام النبلاء، الذهبي 270/13- 277.

([5]) - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي 19/2.

([6]) - تهذيب الأسماء واللغات، النووي 69/1، سير أعلام النبلاء، الذهبي 426/12.

([7]) - تهذيب الكمال، المزي، 438/24، سير أعلام النبلاء، الذهبي 432/12

([8]) - تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي 2/ 26.

([9]) - تاريخ الإسلام، الذهبي 19/ 172.

ثالثاً: عصر البخاري

*** الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الإمام البخاري**

عاش الإمام البخاري في كنف الخلافة العباسية ، وفي عصر الخلافات بين الأمين والمأمون والتي انتهت بمقتل الأمين وخلصت الخلافة للمأمون، ويعتبر عصر المأمون من أزهى عصور الدولة العباسية، مع أن فتنة خلق القرآن ظهرت في عهده ، وبعد وفاته خلفه أخوه المعتصم، وظلت فتنة خلق القرآن قائمة، ولكن خفت وطأتها كثيراً، رغم أن عصره مليء بالقلاقل والفتن، حتى توفي، وخلفه ابن الواثق، وأعاد فتنة خلق القرآن من جديد، لكنه داهمته المنية، وتعاقب خلفاء بني العباس، حتى بايع الترك المهتدي، الذي كان يحاول أن يسير سيرة عمر بن عبد العزيز، لكن الفتن التي كانت بينه وبين الترك جعلتهم يقتلوه في عام (256هـ)[1] ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام البخاري –رحمه الله تعالى.

أما الحياة الاجتماعية فكان يسودها: العرب والفرس والأتراك، أي أن هناك ثلاث طبقات:-

الطبقة الأولى: الطبقة العليا: وهم الخلفاء والأمراء، والقواد، والولاة، والوزراء.

الطبقة الثانية: الطبقة الوسطى: وهم التجار، والشعراء، والقضاة، وكتاب الدواوين، والمغنون، وسواء كانوا عرباً أم أعاجم، مسلمين وغير مسلمين.

الطبقة الثالثة: طبقة العامة: وهم باقي فئات المجتمع [2].

وهذا لا يخفى تأثيره عليه- رحمه الله-.

رابعاً: مكانة صحيح البخاري

تظهر مكانة صحيح البخاري من جهتين:-

الأولى: من مكانة مؤلفه- رحمه الله-

الثانية: من اعتناء الأمة به؛ لدقة تصنيفه، وحسن اختياره، وعلو لشرطه. وتخصيصه لصحيح حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام ابن الصلاح(643ه): "أول من صنف الصحيح: البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري... وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز). وقد عرض كتابه – تمشيا مع عادة أهل العلم والفضل – على بعض شيوخه وأقرانه، فأقروه على ذلك. فكان بمثابة الاتفاق من أهل عصره على منزلة كتابه"[3].

قال الإمام النووي (676ه): "اتفق العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن العزيز: الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث"[4].

قال أبو إسحاق الإسفراييني (418ه): "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها. ولا يحصل

---

(1) - تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف4/9- 15).
(2) - ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، د. طيبة صالح الشذر ص:36- 39.

(3) - معرفة أنواع علوم الحديث، لعثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح ص: 17.
(4) - التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، النووي ص: 26.

الخلاف فيها بحال، وإن حصل ذلك فذاك اختلاف في طرقها ورواتها"[1].

وجميع الأمة قد تلقت كتابه الصحيح بالقبول، فمنذ زمن مصنفه والكتاب يزداد مكانة في نفوس المسلمين. نقل هذا شيخ الإسلام ابن تيمية (728ه): "إن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم". وقال أيضا: ''وأما كتب الحديث المعروفة مثل: البخاري ومسلم، فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن"[2].

خامساً: التعريف بكتاب التفسير في صحيحه

ذكر الحافظ ابن حجر (852ه) في خاتمة شرحه لكتاب التفسير من صحيح البخاري بعض الإحصاءات المهمة حول كتاب التفسير، ومنها:-

١- اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث، وثمانية وأربعين حديثا من الأحاديث المرفوعة، وما في حكمها.

٢- الموصول من ذلك أربعمائة حديث، وخمسة وستون حديثا، والبقية معلقة وما في معناه.

٣- المكرر من ذلك فيه، وفيما مضى أربعمائة وثمانية وأربعون حديثا.

٤- الخالص منها مائة حديث.

٥- وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم خمسمائة وثمانون أثرا، تقدم بعضها في بدء الخلق وغيره، وهي قليلة.

٦- وافقه مسلم على تخريج بعضها، ولم يخرج أكثرها؛ لكونها ليست ظاهرة في الرفع.

٧- والكثير منها من تفاسير ابن عباس[3] .

ومما هو معلوم أن الإمام البخاري لم يقتصر اعتناؤه بالتفسير في صحيحه على ما أورده في كتاب التفسير، بل في كتاب فضائل القرآن، ذكر جملة من أحاديث التفسير، بل قد بوب لأبواب كثيرة – في غير هذين الكتابين – بآيات قرآنية. وكثرة أحاديث التفسير في صحيح البخاري جعلت بعض العلماء يجمع أحاديث التفسير في صحيح البخاري، فقد ذُكر أن الحافظ ابن حجر ألف في ذلك كتابا أسماه: (تجريد التفسير من صحيح البخاري على ترتيب السور) [4].

*** منهجه العام في التفسير**

أولاً– سياق تفسير سورة الأحقاف من صحيح البخاري

قبل الحديث عن تفسير البخاري لا بد من ذكر ما رواه البخاري في الباب.

١- قال البخاري- رحمه الله-: باب: ﴿ **لي ما هم نر نز نم** ﴾ [الأحقاف: 17]

حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف ابن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه. فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ **لي ما هم نر نز نم** ﴾ [الأحقاف: 17]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري [5].

([1]) - النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني 377/1.

([2]) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية 86/5، 320/20.

([3]) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر 744/8.

([4]) - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة 345/1.

([5]) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج)، (6/ 133)، ح (4827).

٢- قال - رحمه الله-: باب: ﴿ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر﴾ [الأحقاف: 24]

قال ابن عباس:(العارض): السحاب. حدثنا أحمد: حدثنا ابن وهب: أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه، عن سليمان بن يسار، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما رأيت رسوا الله صلى الله عليه ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم قالت: وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه. قال: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية، فقال: " يا عائشة، ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، عُذّب قوم بالريح. وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا" [1].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه. فإذا أمطرت السماء سُري عنه فعرّفته عائشة ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أدري لعله كما قال قوم: (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم)"[2].

ثانياً- توسعه في مفهوم التفسير

يُعدّ التفسير من أهمّ الوسائل والطُرق التي تشرح العلوم المختلفة؛ فهو المُبسط للمناهج التي تبدو معقدة، والشارح للعبارات الموجزة، والمعلل للأسباب، والمبين للنتائج بياناً يسهل فهمه، وللتفسير أدواته وقواعده وأصوله التي تختلف باختلاف طبيعة المادّة المُفسّرة، والأسلوب المُتّبع، كما أنّ له معانٍ وتعريفات عديدة سنتحدث عن أهمّها:

*** التفسير لغة**

الشرح، والتوضيح، والبيان، والكشف، وهو من الفسر ومعناه البيان، ومعنى فسرت الكتاب بينته، فسّر الشيء أي: وضّحه أو بيّن سبب حصوله، وكَشَفَ مواضع اللَبس فيه، والفسر: كشف المغطى وقال المبرد: التأويل والتفسير بمعنى واحد وقال غيره: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر [3].

ويُقال: وفسّر القرآن أي: شرح معنى آياته، وسبب نزولها، وموضوعها، وفسّر الظاهرة العلمية أي: قدّمَ للعامة والمهتمين سبب حدوثها.

*** التفسير في الاصطلاح**

هو: الكشف عن المعنى الباطن والحقائق غير الظاهرة في أمر ما أو علم معين، ويتمّ من خلال التفسير وصف هذه الحقائق، وشرح أسبابها، وما وراءها، وكلّ ما يتعلق بها، ويتميّز هذا العلم بتناوله، ومناقشته لكلّ التفاصيل، وعرضها بصورة دقيقة تحقق الفهم الصحيح للمادة المُفسّرَة، وتلغي كل الحقائق المغلوطة حول ظاهرة علمية أو سلوكيّة أو تعليميّة أو محتوى دينيّ، ولكلّ مجال يتناوله التفسير قواعد وضوابط معينة يحدّدها القائمون على التفسير، وطبيعة المادة المُفسّرَة، والظروف التي أوجدت هذه المادة.

([1]) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم)، (6/ 133)، ح (4828).

([2]) - رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: في النجوم، (654/3)، ح (3206).

([3]) - العين، الفراهيدي 247/7، الغريبين في القرآن والحديث، الهروي 1447/5.

أو هو: العلم الذي يتم من خلاله فهم آيات القرآن الكريم، ومعرفة دلالاتها، واستنباط الأحكام الشرعية منها؛ فهو علم جامع شامل لا يتوقف عند الشرح، وإنما يتناول كل حيثيات السور، والآيات، وسبب نزولها، وفي أيّ قوم أو موضع قيلت، وما العبرة التي يمكن أخذها من خلالها، كما أنّ تفسير القرآن الكريم يُغلق الأبواب أمام أي جدل حول معنى وشرح آية معيّنة ويحسم أمرها؛ فلا مجال للشك أو التأويل دون علم أو معرفة فقهية.

أو هو: العلم الذي يُفهم من خلاله القرآن الكريم، وتتضح معانيه، ويستطيع المسلم من خلاله معرفة الأحكام الشرعية التي تُحدد واجبه الديني، كما يُستدل به على الحكمة التي يُحيط الله بها كلماته الطاهرة، ويبيّن الإمام الزركشي أنّ ما سبق يتمّ باستخدام المعرفة في علم اللغة العربية، وأصول الفقه، ومعرفة أسباب النزول، ومن العلماء مَنْ يرى أن علم التفسير هو العلم الذي يشمل المعرفة بألفاظ القرآن الكريم من حيث ضبطها، وكيفية أدائها، ومناسبة نزولها [1].

أو هو: " هو علم نزول الآيات، وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها، ومدنيها وبيان محكمها، ومتشابهها، وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها، ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وعِبَرها، وأمثالها ونحو ذلك"[2].

وهنا يأتي سؤال هل ما يذكره البخاري في كتاب التفسير في صحيحه يعد من باب التفسير، ذهب الباحث مساعد الطيار إلى أن "المتتبعُ للأحاديث التي يوردها البخاري في كتاب التفسير يرى أنها لا يصدُق عليها مصطلح التفسير، ولذلك اعترض بعض شُرَّاح صحيح البخاري على إدخاله لبعض الأحاديث التي لم يظهر لهم ارتباطها بمفهوم التفسير، واجتهد آخرون في بيان مفهوم التفسير عنده من خلال ما أورده الإمام في كتاب التفسير من صحيحه، فاعتذروا له في إيراد مثل هذه الأحاديث"[3].

وقد يقع على البخاري اعتراض في ذكر الباب، أو ذكر الحديث في الباب؛ لأنه لا يتعلق بالموضوع، أو محله موضوع آخر كما اعترض العيني(855ه) على ذلك في سورة الفاتحة وغيرها. مع أن هذا الاعتراض في غير محله، لأن للبخاري مراد في إيراد هذه الأحاديث في كتاب التفسير. فالتفسير عند العيني (855ه): "التكشيف عَن مدلولات نظم الْقُرْآن"[4].

ومن أفضل ما قيل في منهج البخاري في كتاب التفسير، ما قاله محمد أنور الكشميري (1352ه): "ثم اعلم أن تفسير المصنف ليس على شاكلة تفسير المتأخرين في كشف المغلقات وتقرير المسائل، بل قصد فيه إخراج حديث مناسب متعلق به، ولو بوجه"[5].

وقال أبو مسعود رشيد أحمد الكنكوهي (1323ه): "الذي ينبغي التنبه له أن التفسير عند هؤلاء الكرام أعم من أن يكون شرح كلمة، أو تفصيل قصة مما

(1) - انظر: البرهان في علوم القرآن، 1/ 9.
(2) - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 194/4.
(3) - تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري (الفاتحة نموذجا)، لمساعد بن سليمان الطيار ص:26.
(4) - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العينى 79/18.
(5) - فيض الباري على صحيح البخاري، لمحمد أنور شاه الديوبندي 186/5.

يتعلق بالكلام، أو بيان فضيلة، أو بيان ما يقرأ بعد تماما السورة، ولا أقلَّ من أن يكون لفظ القرآن واردًا في الحديث. وكون الأمور المتقدمة من التفسير ظاهر وإنما الخفاء في هذا الأخير. والنكتة فيه أن لفظ الحديث يفسر لفظ القرآن بحيث يُعلم منه أن المراد في الموضعين واحد. وكثيرًا ما ينكشف معنى اللفظ بوقوعه في قصة كلام، ولا يتضح مراده لو وقع هذا اللفظ في غير تلك القصة، فإذا لاحظ الرجل الآية والرواية معًا كانت له مكنةٌ على تحصيل المعنى"[1].

ومما سبق يتضح أن البخاري توسع في مفهوم التفسير، فيدخل في تفسيرها ما يتعلق بها، ولو من أدنى وجه.

ثالثاً– التفسير بالرأي

تفسير القرآن الكريم بالرأي: معناه: تفسير القرآن بالنظر المجرَّد الذي لا يخالف اللغة، بل يستعين بمناهجها، ولا يخالف السنة، بل يعتمد على الصحيح من أسانيدها إن صحَّت عنده، ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور، ولا أسباب النزول التي صحَّت بسند صحيح.

والتفسير بالرأي على هذا النحو تضاربَت فيه أقوال العلماء، فبعضهم توقف، ومنع أن يفسر القرآن بالرأي، بل لا بُدَّ لبيانه من علم السنة، ومنه علم الصحابة، وما يجتمع عليه التابعة، وبعضهم أجازه بشروط، ليس هذا البحث موطنها.

وعرف التفسير بالرأي بأنه: "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر"[2].

وعرف بأنه: "إعمال الفكر والاجتهاد في فهم الآيات القرآنية"[3].

قال الزرقاني: يختلف العلماء في التفسير بالرأي بين مجيز ومانع والتحقيق ... الجواز بشروطه، والمنع عند عدم توافر شروطه [4].

و لم يكن من عادة البخاري – فيما يظهر – ذكر الأقوال المختلفة في التفسير؛ إذ ليس كتابه هذا كتابًا مستقلاً في التفسير، بل هو جزء من كتاب كبير مرتبط بمنهج عام، وذكر الأقوال في التفسير لا يتناسب مع منهجه في هذا الكتاب، ووقع – كثيرًا – عنده اختيار قولٍ واحد من بين عدد من أقوال المفسرين، ويدلُّ لذلك أن المصادر التي ينقل منها قد تختلف في حمل اللفظة على معنى، ثم تراه يختار قولاً واحدًا منها.

ولا ريب أن البخاري مطَّلع على عدد من الأقوال في اللفظة أو الآية، لذا فإنه يمكن اختصار منهجه فيما يلي:–

١– عدم ذكر الأقوال، واختيار قولاً واحدًا منها، وعدم التعليل للاختيار.

٢– ولا يوجد في سورة الأحقاف أي نوع من هذين النوعين، وإن كان موجودًا في غيرها.

٣– وقد أظهَر اختيارُه في ترجمة الأبواب: فتراجم البخاري تحمل فقهه وآراءه العلمية، ومن ذلك رأيه في تفسير بعض الآيات.

(1) - الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، لمحمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي 7/5.
(2) - التفسير والمفسرون، الذهبي 183/1.
(3) - نقد الصحابة والتابعين للتفسير، الجار الله، ص:248.
(4) - مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني 54/2.

ويمكن ضرب مثالٍ لذلك بما يأتي:-

قال البخاري: "وقال مجاهد: ﴿ كا كم ﴾ جلحلة [يونس: 61]: «تقولون» وقال بعضهم: " أثرة وأثرة وأثارة:-

بقية من علم " وقال ابن عباس: ﴿ ثي في في ﴾ [الأحقاف: 9]: لست بأول الرسل"[1].

فذكره لحديث تحويل القبلة يدل على أن المراد به: (يعرف هؤلاء الأحبار من اليهود، والعلماء من النصارى أن البيت الحرام قبلتهم، وقبلة إبراهيم، وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم)، و لم يحك ابن جرير غير هذا القول، ورواه عن ابن عباس وقتادة والسدي والربيع وابن جريج وابن زيد[2].

وهذا القول يتناسق مع سياق الآيات؛ لأن الحديث قبلها وبعدها في شأن القبلة.

ويبدو أن من نُسب إليه وجه آخر، كان يفسر آية سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿ بن بى بي بر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ﴾ [الأنعام:20]، وتلك يتناسب معها أن يكون الضمير في يعرفونه عائدًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان كذلك، فإن استدراك بعض شُرَّاح صحيح البخاري عليه ذكر أمر تحويل القبلة لا يستقيم، ومن هؤلاء العيني (855ه)، قال: "مطابقته لِلْآيَةِ مثل مَا ذكرنَا فِي الحَدِيث السَّابِق"، وقال في الحديث السابق: (مطابقته لِلْآيَةِ تَتَأَتى بالتعسف يوضحها من يمعن النّظر فِيهِ) [3]. وليس في الأمر تعسف كما هو ظاهر من السياق، ومن اتفاق مفسري السلف على هذا القول.

وإذا استقر القول المناسب للسياق، فإنه لا يعني أن القول الآخر ليس له حظ من النظر، لكنه تبعٌ لهذا المعنى، وهو من لوازمه، وقد أشار الكنكوهي (1332ه) إلى هذا الملحظ، فقال: "يعني أنهم عرفوا محمدًا أنه النبي الموعود المنعوت في التوراة، وقد كان من نعته أنه يصلي إلى القبلة آخرًا، ويصلي إلى بيت المقدس أول قدومه مدة كذا، فمن هذه الحيثية كان عرفانهم بمحمد عرفانًا بتحويل القبلة. ولا حاجة إلى تصحيح إيراد هذه الرواية في هذا الباب إلى إرجاع ضمير (يعرفونه) إلى التحويل، فإن المرام حاصل بدونه أيضًا، فإن عرفان محمد بنعته عرفانٌ لجميع ما هو من أحواله المختصة، سيما أمر التحويل، فإنه كان علامة مكتوبة".

والذي يدل على توسيع مدلول الآية عند البخاري ليشمل غير ما سيقت له أنه سبق أن ذكر هذه الآية في كتاب المناقب، وترجم لباب فيه بهذه الآية، وأورد تحته قصة آية الرجم في التوراة، مما يدلُّ على أنه يُدخل في معناها مثل هذه القصة[4] ، قال: «بابُ قَوْلِ اللهِ – تَعَالَى –: ﴿ مج مح مخ مم ﴾ [البقرة:146].ثم ذكر حديث ابن عمر: "أن اليهود جاءوا إلى رسول الله فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله : (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟).فقال: نفضحهم، ويجلدون.فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق، يا

(1) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، بلا باب، (133/6)، بلا رقم حديث).
(2) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري 670/2.
(3) - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني97/18.
(4) - تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري (الفاتحة نموذجا)، لمساعد بن سليمان الطيار ص:29.

محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما فرجما. قال عبد الله، فرأيت الرجل يحنأ على المرأة يقيها الحجارة" [1].

* التفسير وعلوم القرآن في صحيح البخاري في سورة الأحقاف

أولاً– التفسير بأقوال الصحابة

إذا لم يجد المفسر للآية نصاً من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه يعتمد في تفسيره على أقوال الصحابة. وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية(728ه) بقوله: " إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود"[2].

والصحب الكرام هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(32ه): «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله، إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته» [3].

وهم أهل العلم، وهم الذين عاصروا التنزيل، فعلموا التأويل، لذا كان تفسيرهم أولى من الأخذ بالرأي، ولماذا كانوا كذلك؟ قال الشافعي(204ه) رحمه الله تعالى: "وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا". والإمام أبو حنيفة(150ه) منع الخروج عن أقوال الصحابة فقال: " إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم"[4].

وقال ابن تيمية(728ه):" القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً".

ولقد أكد على أهمية تفسير الصحابة الكثير من أهل العلم، والمفسرين، حيث بينوا التدرج في التفسير، وهو ما قرره ابن تيمية(728ه) وابن كثير(774ه): " إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ..."[5].

ومما يؤكد منزلة تفسير الصحابة، الذين هم أهل اللغة، وأهل المشاهدة، ما ذكره الزركشي(794ه)، فقال: "ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بذلك حيث

([1]) - رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: قول الله تعالى: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)، (206/4)، ح (3635).

([2]) - مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ص:40.

([3]) - تفسير الطبري 75/1.

([4]) - المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي ص:109، 111.

([5]) - مجموع الفتاوى، ابن تيمية 362/13. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 7/1.

قال: "اللهم علمه التأويل" وقد رجح الشافعي قول زيد في الفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم: "أفرضكم زيد" فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء" [1].

*** خصائص تفسير الصحابة**

تفسير الصحابة الكرام له مميزات وخصائص، منها:-

١- تفسيرهم لم يكن مكتوبا، ولا مدونا، وإنما كان شأنه شأن علم الحديث.

٢- تفسيرهم لم يكن منتظما ومتماشيا مع ترتيب السور، أو حتى ترتيب آيات السورة الواحدة.

٣- تفسيرهم لم يشمل جميع آيات القرآن الكريم، وإنما فسروا فقط ما غمض فهمه على الناس، أو ما عرفوا له أسباباً للنزول، أو ما كان جوابا نزل به الوحي لسؤال سائل.

٤- قوة الفهم والإدراك لمعظم آيات القرآن باعتبار معايشتهم لنزوله، وعدم اختلاف مفسريهم إلا في النادر القليل. جعلهم متفقون.

٥- قلة الاستنباط الفقهي لقلة الحوادث والواقعات والمستجدات.

٦- الاقتصار على التفسير لغريب الألفاظ [2].

قال محمد حسين الذهبي(1397ه): "هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن، وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة"[3]. فالصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة[4].

ومن تفسير البخاري بأقوال الصحابة في سورة الأحقاف:-

١- قال تعالى: ﴿ ثي في في ﴾ [الأحقاف: 9]، قال ابن عباس: ﴿ ثي في في ﴾ [الأحقاف: 9]: "لست بأول الرسل" [5].

٢- قال تعالى: ﴿ ثز ثم ثن ثى ثي ﴾ [الأحقاف: 24]، قال ابن عباس: (عارض): «السحاب» [6].

ثانياً- علوم القرآن التي أوردها البخاري في سورة الأحقاف

أولاً: علم غريب القرآن

١- مفهوم الغريب

الغريب لغة: الغرب: المغرب. والغروب: غيبوبة الشمس، والغربة: الاغتراب من الوطن. والغريب: الغامض من الكلام، وغربت الكلمة غرابة، وصاحبه مغرب، والغربة: الاسم من الاغتراب، غرّب الرجل تغريبا إذا بعد ومنه قولهم

(1) - البرهان في علوم القرآن، الزركشي172/2.
(2) - مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد ص:100.
(3) - التفسير والمفسرون، الذهبي33/1.
(4)- محاسن التأويل، القاسمي 234/1.

(5) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، بلا باب، (133/6)، بلا رقم حديث).
(6) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم)، (133/6)، بلا رقم حديث.

أغرُب أي أبعد. ويقال هل من مغربة خبر؟ أي هل من خبر جاء من بعد، وأحسب أن اشتقاق الغريب من هذا [1].

قال ابن القطاع(515ه): "غَرُبت" الكَلمةُ غرابةً غَمضَت" [2].

الغريب اصطلاحاً: قال الخطابي(388ه): "الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها"[3].

والقرآن: اِسْمُ كِتَابِ اللهِ، لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ مِنْ الْكُتُبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّه جمعَ وَضَمَّ السّورِ وَمَجَازَهُ [4].

والقرآن لغة :مصدر قرأ يقرأ قراءة أو قرآناً، هذا في اللغة، ثم بعد ذلك أنزلها أهل العلم على كلام الله جل وعلا المختص به الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الاصطلاح :هو كلام الله المعجز –اسم فاعل– المتعبد بتلاوته، المترل على محمد صلى الله عليه وسلم، فهو كلام الله الذي أعجز به البشر أن يأتوا بمثله أو بآية أو بسورة منه.

أو هو: كلامُ اللهِ تعالى المُنزَّل على نبيه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، المُعْجِز بلفْظه ومعناه، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أَوَّلِ سورة الفاتحة إلى آخرِ سورة الناس [5].

وسبب تصريح أهل السنة والجماعة بأن القرآن غير مخلوق: ما قاله محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ (360هـ –) :(حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد يسأل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله، ثم يسكت؟ فقال :ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟ ثم قال الآجري: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى؟ فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيا، شاكا في دينه [6].

وقول ابن تيمية (ت:728هـ) :(ومِن الإِيمانِ باللهِ وكُتُبِهِ الإِيمانُ بأَنَّ القرآنَ: كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلوقٍ، منهُ بَدَأَ، وإِليهِ يَعودُ، وأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقيقةً، وأَنَّ هذا القرآنَ الَّذي أَنْزَلَهُ على محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُو كلامُ اللهِ حقيقةً، لا كَلامَ غيرِهِ) [7].

*** غريب القرآن**

غريب القرآن: الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم؛ لقلة استعمالها عند قوم معينين في حقبة محددة من الزمن [8].

(1) - العين، للخليل بن أحمد، 410/4، معجم ديوان الأدب، الفارابي162/1، البارع في اللغة، ابن القاسم ص:307.
(2) - الأفعال، لعلي بن جعفر، ابن القَطَّاع الصقلي 2/ 420.
(3) - غريب الحديث، الخطابي 71/1.
(4) - مجاز القرآن، لمعمر بن المثنى 1/ 18.
(5) - علوم القرآن، لصبحي الصالح، ص: 18-20.
(6) - انظر: الشريعة (١/ ٥٢٨).
(7) - انظر: العقيدة الواسطية (12/5).
(8) - جهود العلماء في غريب القرآن الكريم، لعبد الرحمن بن معاضة الشهري ص:1203.

وعرف بأنه العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، وهو مبحث لغوي متخصص، أو هو الجانب اللغوي في علم التفسير [1].

ومن علم غريب القرآن في صحيح البخاري في سورة الأحقاف:-

١- أثارة: قال تعالى: ﴿ صخ صم ضج ضح ﴾ [الأحقاف: 4]، قال البخاري: "وقال بعضهم: " أثرة وأثرة وأثارة: بقية من علم " [2].

قال ابن فارس(395ه): "والأثارة: البقية من الشيء، والجمع أثارات، ومنه قوله تعالى: ﴿ صخ صم ضج ضح ﴾ [الأحقاف: 4]" [3].

وقال الهروي(236ه): "قوله تعالى: ﴿ صخ صم ضج ضح ﴾ وقرئ: (أو أثرة)؛ أي من علم مأثور ويقال بقية من علم. والأثارة والأثر: البقية. يقال: ما ثم عين ولا أثر"[4].

٢- عارض

في قوله: ﴿ ثز ثم ثن ثى ثي ﴾ [الأحقاف: 24]، قال ابن عباس(68ه) رضي الله عنهما: (عارض) «السحاب» [5].

وقال الخليل(170ه): "والعارض من كل شيء ما استقبلك كالسحاب العارض ونحوه والعرض: السحاب"[6].

وقال الفارابي(339ه): "والعارض: السحاب، قال الله عز وجل: ﴿ ثز ثم ثن ثى ثي ﴾ " [7]. وقال به: البغوي وابن كثير والسعدي، وغيرهم.

ثانياً: علم أسماء السور

*** السورة في اللغة**

السورة: من العلو، وقيل: البناء، وقيل: عرق من أعراق الحائط، وقيل: الإحاطة، وقيل: ما بقي من الشراب في الإناء[8].

*** السورة اصطلاحاً**

عرفت السورة في الاصطلاح بأنها: "طائفة من الآيات القرآنية لها بدء ونهاية"[9].

*** طريقة البخاري في أسماء السور**

الأول: أن يصدرها تحت عنوان (باب)، كما قال: (بَابُ سورة البقرة، ...).

الثاني: أن يصدر تفسير السورة بلقبها دون ذكر لفظة (باب)، كقوله: (سورة الأحقاف) إلخ.

الثالث: قلَّما يورد خبرًا يتضمن اسم السورة [10].

---

(1) - العمدة في غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، مقدمة المحقق (15).
(2) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، بلا باب، (133/6)، بلا رقم حديث.
(3) - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس 55/1.
(4) - الغريبين في القرآن والحديث، الهروي45/1.
(5) - رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم)، (133/6)، بلا رقم حديث)..
(6) - العين، للخليل بن أحمد، 274/1.
(7) - معجم ديوان الأدب، الفارابي353/1.
(8) - ينظر: تهذيب اللغة، ابن فارس 36/13.
(9) - دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل ص: 56.
(10) - تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري (الفاتحة نموذجا)، لمساعد بن سليمان الطيار ص:38.

ومن عناية البخاري بسورة الأحقاف أنه أورد لها اسمين:-

أ- حم.

ب- الأحقاف.

قال ابن عاشور(1393ه): "سميت هذه السورة «سورة الأحقاف» في جميع المصاحف وكتب السنة، ووردت تسميتها بهذا الاسم في كلام عبد الله بن عباس"[1].

ثالثاً: علم المكي والمدني: للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:-

أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة[2].

ذهب جماهير أهل العلم إلى أن سورة الأحقاف مكية، كما دلَّ حديث عائشة رضي الله عنها على أن سورة الأحقاف مكية؛ لأن الله ذكر من حال نبيه صلى الله عليه وسلم الخوف والوجل من أن يكون العارض (المطر) هلاك، كما حصل للأمم السابقة. قال القرطبي(671ه): "سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم"[3].

وبهذا يكون حديث عائشة رضي الله عنها قد أشار إلى علم المكي والمدني.

*** الخاتمة**

فبعد هذه الرحلة الماتعة والعيش مع نفائس الإمام البخاري- رحمه الله- لاستنباط مسائل علوم القرآن، ظهر لي أننا بحاجة ماسة للرجوع إلى هذا الكتاب بالذات لاستخلاص هذه المسائل منه، وللاستفادة منها ؛ إذ فيه كنوز دفينة، فمن أتى إليها بقدر ما عنده من تأسيس في علوم القرآن، ووهبه الله قدرة على الاستنباط، فإنه سيجد ثروة من المعلومات في علوم القرآن تفيده في مجال التطبيق على أنواع علوم القرآن التي ذكرها الأئمة السابقون؛ كالزركشي (794ه) في كتابه «البرهان في علوم القرآن»، والسيوطي (911ه) في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»، وغيرهما، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في أن يكون هذا البحث أنموذجًا للفكرة التي أردت عرضها.

*** النتائج**

١- أن الحاجة ماسة إلى استنطاق الأحاديث والآثار لتعزيز مسائل علوم القرآن وأصول التفسير.

٢- أن الإمام البخاري صاحب اختيار في التفسير

٣- أن الإمام البخاري استفاد كغيره من المفسرين في باب النقل من مرويات المفسرين ومن كتب اللغويين.

٤- أن الحاجة لا تزال قائمة في إبراز منهج الإمام البخاري زيادة على ما قام به الباحثون.

*** التوصيات**

١- أن يعمد الدارسون لعلوم القرآن وأصول التفسير إلى الجانب التطبيقي من خلال الآثار النبوية وغيرها من تفسيرات الصحابة والتابعين.

(1) - التحرير والتنوير، ابن عاشور 5/26.

(2) - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 38/1.

(3) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 178/16.

٢- أن تخص كتب التفسير من كتب الصحاح والسنن بالدراسة، ففيها فوائد جليلة لا تظهر إلا بالاستقراء والتحليل لهذه الكتب.

٣- أن تتابع الدراسة لمناهج الأئمة المسندين الذي عُنوا بالتفسير من خلال كتبهم التي ليست في التفسير.

*** المراجع**

الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، الكاندهلوي، محمد زكريا بن يحيى (1384ه)، تحقيق: محمد حافظ الندوي، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1433ه-2012م.

الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.

الأفعال، ابن القَطَّاع، علي بن جعفر الصقلي (515هـ)، ط1، عالم الكتب، 1403هـ - 1983م.

ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، د. طيبة صالح الشذر، دار قباء للطباعة والنشر، 1998م.

البارع في اللغة، ابن القاسم، إسماعيل (356هـ)، المحقق: هشام الطعان، ط1، بغداد، مكتبة النهضة – بيروت، دار الحضارة العربية، 1975م.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين (794 هـ)، إبراهيم عناني عطية عناني، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، 1436 هـ - 2015م.

تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، ط1، مصر، دار المعارف، 1960 - 1995م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، محمد بن أحمد (748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ - 2002م.

تثوير علوم القرآن من خلال كتاب التفسير من صحيح البخاري، سورة الفاتحة أنموذجا، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، المجلد:26، العدد (1)، ص: 17-44.

التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ.

تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ابن العطار، علي بن إبراهيم (724هـ)، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، عمان– الأردن، الدار الأثرية، 1428 هـ - 2007م.

تذكرة الحفاظ، الذهبي، محمد بن أحمد (748هـ)، ط1، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 1419هـ- 1998م.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م.

التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين (1398هـ)، القاهرة، مكتبة وهبة.

التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، النووي، يحيى بن شرف (676هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405 هـ - 1985م.

تهذيب الأسماء واللغات، النووي، يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، يوسف بن عبد الرحمن (742هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1400 - 1980م.

تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد(ت:370ه)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير (310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422 هـ - 2001م.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد (671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م.

جهود العلماء في غريب القرآن الكريم، الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه - جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه - مؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع – المغرب، 2011م.

دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل (1426هـ)، ط2، دار المنار، 1419هـ-1999م.

الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري، محمد بن القاسم (328هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1412 هـ - 1992م.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد (748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ / 1985م.

الشريعة، الآجُرِّيُّ، محمد بن الحسين (360هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط2، الرياض، دار الوطن، 1420 هـ - 1999م.

الصحاح، الفارابي، إسماعيل بن حماد (393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1407 هـ - 1987م.

صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل(ت:256ه)، المحقق: محمد زهير الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

العقيدة الواسطية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (728هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط2، الرياض، أضواء السلف، 1420هـ / 1999م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود أحمد (855هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

العمدة في غريب القرآن، القيسي، مكي بن أبي طالب (437ه)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر، 1981م، مقدمة المحقق.

العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد(170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غريب الحديث، الخطابي، حمد بن محمد(ت:388ه)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي خرج أحاديثه: عبد القيوم عبدرب النبي، دمشق، دار الفكر.

الغريبين في القرآن والحديث، الهروي، أحمد بن محمد (401هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، ط1، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ - 1999م.

الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (728هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1987م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي (852ه)، بيروت، دار المعرفة، 1379ه.

فيض الباري على صحيح البخاري، الديوب ندي، محمد أنور شاه بن معظم شاه (1353هـ)، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426 هـ - 2005م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (1067هـ)، بغداد، مكتبة المثنى، 1941م.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم (711هـ)، ط3، بيروت، دار صادر، 1414 ه.

مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح(ت:1407ه)، ط24، دار العلم للملايين.

مجاز القرآن، معمر بن المثنى (209هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، القاهرة، مكتبة الخانجى، 1381هـ.

محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1418 هـ.

المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل (458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421 هـ - 2000 م.

مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، القاهرة، دار البيان العربي.

المدخل إلى السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين (458 هـ)، اعتنى به وخرَّجَ نقُولَه: محمد عوامة، القاهرة، دار اليسر للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1437 هـ - 2017م.

المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، محمد بن أحمد (1394هـ)، دار الفكر العربي.

معجم ديوان الأدب، الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (350هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، 1424هـ - 2003 م.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد (395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (643هـ)، المحقق: نور الدين عتر، سوريا، دار الفكر-، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1406هـ - 1986م.

مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (728هـ)، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1490هـ- 1980م.

مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم (1367هـ)، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

نقد الصحابة والتابعين للتفسير، الجار الله، عبد السلام بن صالح بن سليمان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه، 1427 - 1428هـ.

النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر، أحمد بن علي (852هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط1، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، 1404هـ/1984م.

النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي، محمد بن عبد الله (794هـ)، المحقق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، ط1، الرياض، أضواء السلف، 1419هـ - 1998م.